اللقاء الأخير

- اتفقنا فى اللقاء السابق أن نسجل سويًا رءوس الموضوعات التى تناقشنا فيها خلال الفترة السابقة، ولكن اسمح لى أن أذكرك بأننى سجّلت كل ما ناقشناه سويًا، وسوف أنشره فى كتاب.

- لا بأس... لا بأس... هذا لا يمنع أن أسجل أنا الآخر كل النقاط التى تناقشنا فيها..... أكيد سوف تُساعدنى فى الفترة القادمة..... كما تعرف..... أمور كثيرة فى حاجة إلى تغيير، وإلى قرارات فورية.

- عظيم..... هذا دليل على حماسك، وإصرارك على العمل الجاد لإصلاح التعليم.

- هذا حقيقى، ولكن الموضوعات تداخلت، وتشابكت، ولا أدرى من أى نقطة نبدأ.

- قلت سابقًا لسيادتك..... المهم أن نبدأ..... الخُطوة الأولى دائمًا صعبة، ولكن بعدها سوف تكون الانطلاقة بعون الله ما دام هناك الإخلاص والضمير.

- أحمد الله وأشكره..... يوجد الإخلاص والضمير، وتوجد الثقة فى النفس، والقدرة على العطاء، والرغبة فى عمل جاد ومثمر، وليس أدل على ذلك من جلوسى معك كل هذه الساعات الطوال، ولكن لا بد أن أعترف أننا خلال الحوار حددنا نقاط هامة سوف يكون لها الأثر الكبير فى عملى فى الفترة القادمة، وتأكد لى أيضًا أهمية الخبرة والممارسة الفعلية، وأن هناك أمورًا لم أكن أعرفها..... هذه حقيقة لا يُمكن إنكارها.

- الفضل لله..... ثم لك يا سيادة الوزير..... كُنت فى غاية السماحة، والرُقىّ، ولمست من مُعاملتك تواضع العُلماء، ولم تتبرّم أبدًا من بعض العبارات الغير لائقة التى جاءت أثناء الحوار، واسمح لى أن أنتهز الفرصة..... ولأنه اللقاء الأخير أن أعتذر عن كلمات أو تعبيرات لم تكن على المستوى المطلوب، ولكنى أعترف أن سعة صدرك هى التى أغرتنى أن أكون صادقًا أكثر من اللازم.

- أنا لست دائمًا هكذا..... على العموم كلماتك لم تصل إلى حد الإغضاب، وإلا رأيت منى ما تكره..... أنت تعرف كما يعرف الناس أن يدى غليظة، ورد فعلى عنيف، ولكنى أعترف أنك كنت صادقًا، ومُخلصًا، وأن ما تناولناه كان حقائق، وأن ما اقترحناه سويًا يُمكن أن يكون الحل والدليل.

- لك الشُكر الجزيل على ثقتك وجميل كلماتك..... يكفى أنك أخرجتنى من الكهف.

- الكهف؟

- نعم.... ألم تذكر؟..... كهف المعاش اللعين..... أخرجتنى منه لأرى الشمس والنور، وأتنفس الهواء النقى من جديد، وأشعر بنسيم الحياة يملأ رئتى وقلبى، والحياة تدب فى أوصالى..... لقد أتحت لى الفرصة لأكون إنسانًا نافعًا من جديد..... أشعر بقيمتى وأهميتى فى الحياة، وملأتنى بالثقة لإشعارك لى لأهمية وقيمة ما أقول..... والله... إنى أعترف أنك جدير بموقعك، وأنك الرجل المناسب لهذه الفترة الحرجة..... الرجل الذى يتخذ القرارات المُناسبة والحاسمة، ويدافع عنها بثقة، ولا يلتفت وراءه ليرى حماس المُهَللين، وأكثرهم كاذبين، ولا سهام الحاقدين، وأكثرهم غير مُخلصين.

لقد أوشك الزمام أن يفلت، والأمور تتعَقّد أكثر وأكثر، وطريق الإصلاح تتكاثف حوله طبقات الظلام، ويبدو الأمر كأنه أمراض مُستعصية..... ولكن والله..... مصر بخير..... يملأ واديها الخبراء والمخلصون..... أرجو أن تستدعيهم، وتُقَرّبهم منك، وعندك من الخبرة والحنكة ما تستطيع أن تزن أقدارهم وإخلاصهم، ولتكن يدك فى أيديهم، والله هو المُعين.

- حقيقى..... الله هو المُعين، ولكنى بالقطع لن أستطيع أن أعمل بمفردى..... لا بد من طرح المشاكل للمناقشة..... كذلك الحلول..... يجب وضع كل شىء أمام الخبراء من رجال الوزارة، ومن رجال الإعلام والصحافة، وكذلك أولياء الأمور والتلاميذ، وكل من له صلة بالعملية التعليمية.

يجب أن أتخذ القرارات التى تصُب مباشرة فى صالح العملية التعليمية..... قرارات بعيدة عن المظهرية، والتى تصُب مُباشرة فى صالح التلميذ، وبالتالى فى صالح الوطن والمواطنين.

- ولكنى أعتقد أن هناك أشياء عاجلة لا تحتاج إلى خبراء واجتماعات ومناقشات..... بل إلى أخذ إجراءات فورية.

- مثل ماذا؟..... لو أمكن... أرجو أن تُحَددها فى نقاط.

- سوف أفعل..... سأتحدث عنهم بالترتيب حسب الأهمية.

- تَفَضّل..... إنى أكتب.

١) المتابعة:

إصلاح أجهزة المتابعة فى الإدارات والمديريات والوزارة وانتقاء أفرادهم بعناية، مع تدريبهم، وصقلهم، ووضع المعايير اللازمة لقيامهم بوظيفتهم، مع إعطائهم صلاحيات واسعة، وعدم اختيارهم من المُعاقبين المُبْعدين عن أعمالهم.

المُتابع هو عين الوزير.... عين الحكومة.... بل عين الشعب كلّه..... اتفقنا أن وظيفة المُتابع ليست فقط اكتشاف السلبيات والنقد وتوجيه الاتهامات وتوقيع الجزاءات، بل هو من أجل المساعدة فى تسليط الضوء على ما يُعيق إدارة المدرسة من أداء رسالتها بما له من خبرة كبيرة، وسلطات واسعة، وأن يتأكد من تواجد الإمكانيات التى تقضى على السلبيات، وتُدعم الإيجابيات.

٢) الأمن:

يجب أن يكون الأمن فى المدارس.... أمن مُحترف.... هذه وظيفته..... يعرف أبعادها، وقادر على القيام بمسئوليتها، وأن يُخصّص سجل رسمى يُدَوّن به بيانات المترددين، مع أخذ بطاقة الهوية (بطاقة الرقم القومى) وحفظها لدى الأمن يتسلّمها الزائر عند مغادرته المدرسة، وذلك يُحقق هيبة المدرسة، وكرامة العاملين بها، مع تخصيص أوقات مُعَيّنة لاستقبال أولياء الأمور.... إلا فى الحالات العاجلة.

٣) توحيد وتفعيل قرارات الغياب فى كل مراحل التعليم:

إهمال تسجيل الغياب يمثل أكبر مشكلة تواجهها العملية التعليمية بل هو سبب رئيسى للفوضى والتسيب..... يجب تفعيل القرارات الوزارية، وأن يُؤخذ الغياب فى الطابور عن طريق مدرس الحصة الأولى، وتُرسل الإنذارات فى مواعيدها، وتتم عملية الفصل أو إعادة القيد تحت مظلّة العدل والنظام والمراقبة والمتابعة، مع تركيز المُتابعة فى مدارس البنات، ويُمكن استخدام التليفون لإبلاغ ولى الأمر بغياب التلميذ فضلاً عن إرسال الإنذارات حتى يمكن مراقبة التلميذ على مدار اليوم كلّه عن طريق المدرسة والبيت.

أيضًا الاتفاق مع إدارة التأمين الصحى لوضع المعايير اللازمة لاعتبار التلميذ مريض، وقطع الطريق على المُتمارضين الذين يشترون الشهادات المرضية من العيادات الخاصة لأطباء التأمين الصحى، وأن تكون هناك مراقبة دقيقة على هؤلاء الأطباء الذين يبيعون ضمائرهم.

يمكن أيضًا الاتفاق على حافز يُعطى للتلاميذ الذين لا يتغيّبون... أو أن غيابهم لم يتعدّى ٢٪ طوال العام وذلك..... مثلاً.... بإضافة من ٣ إلى ٥ درجات إلى المجموع للتلميذ.

٤) استخدام المدرسة كمركز للتقوية:

تَحل المدرسة محل البيت، ومَحَل المراكز الغير مُرَخّصة وتعمل فى الظلام فى ظل موجة الفساد، وكذلك لتَحل مَحَل مجموعات التقوية السيّئة السُمعة والتى يصل عدد التلاميذ فيها عشرة أضعاف ما حدده القرار الوزارى.

تعمل هذه المراكز المدرسية فى غير أوقات اليوم الدراسى، وفى أيام الإجازات، وتخضع للإشراف المدرسى والإدارة التعليمية، وأن يُدرّس بها أكفأ المدرسين، والذين يُقبل عليهم التلاميذ، ويتمتعون بالسُمعة الطيبة، وأن يكون للمُعَلّم دخل مُجزى لا يقل عن ٨٠٪ من الحصيلة، وأن يُحدد المُعَلم قيمة الاشتراك بنفسه.

هى خطوة للحَد من الدروس الخصوصية، والقضاء على ظاهرة النصب العلنى الذى يتم فى المراكز المزعومة، والتى يعمل بها مدرسون غير مُتخصصين منهم المحاسبون والأطباء والمهندسون وموظفون من كل مهنة، ويُسمون أنفسهم ملوك وعظماء وفلتات وأسماء حيوانات مُفترسة.... تجد لافتات على الحوائط تحمل اسم الأستاذ فلان... ملك الكيمياء أو إمبراطور اللغة العربية، أو ديناصور اللغة الانجليزية وهكذا..... إعلانات تنافس إعلانات الصابون والمشروبات الغازية والبيتزا، وتصحب هؤلاء الأفاضل دعايات كاذبة لإيهام أولياء الأمور.... الذين يتعلّقون بقَشّة فى ظل التعليم الفاسد.... بأن هؤلاء الناس فى أيديهم الفلاح والنجاح والمجاميع المرتفعة، وفى ظل الهوجة والخيبة يتم بيع مُذكرات ومُلَخّصات ذات ألوان مبهجة.... حمراء وخضراء وصفراء... منقولة بالحرف الواحد من كتب الوزارة المنهوبة أو من الكتب الخارجية، ومن امتحانات السنوات السابقة، وبها مُلَخّصات وأسئلة وإجابات مما يسلب الوزارة جهودها فى القيام بتعليم نافع وحقيقى يفيد الوطن، وليس تعليم يهدف إلى حل الامتحانات.

أيضًا وجود المراكز المدرسية تشيع الاطمئنان فى قلوب أولياء الأمور لأن التلاميذ يتحركون تحت مظلّة الإشراف المدرسى المُنَظم، ويُجَنّبهم الذهاب إلى المنازل والشقق، وهى بالطبع أماكن مجهولة لولى الأمر مما يسبب الكثير من المشاكل التى لا تخفى.... خاصّة للبنات!

لقد طبّقت هذه الفكرة بنفسى وحَقّقت نجاحًا باهرًا فى مدرسة السادس من

أكتوبر (تُسَمّى الآن... أم المؤمنين عائشة) وبتشجيع من مدير عام الإدارة فى هذا الوقت، الأستاذ محمد حجاب..... كان رجل ذو فكر ثاقب..... وجرىء، وفاهم لرسالته، ويتفانى فى عمله، ويقف وراء كل فكرة تُحقق الفائدة المرجوة، ودائمًا عنده الجديد.

٥) مادة الدين:

تحتاج هذه المادة إلى الإنقاذ السريع.... كفى إهمالاً لها وتقليلاً من شأنها..... يجب أن يكون لها معلمون متخصصون لهم امتيازات خاصة، وأن تدخل الدرجات ضمن المجموع الفعلى.

تعليم الدين الصحيح على أيدى المعلم الفاهم المثقف له فعل السحر على الأخلاق والسلوك، وتشيع فى المجتمع أخلاقيات التسامح والإخاء والمحبة بين عنصرى الأمة..... فضلاً عن تأصيل قواعد الحق والعدالة، وتأكيد قيمة الدين فى نفوس التلاميذ تجعل لأخلاقيات الصدق والأمانة وحب الوطن مثل عُليا يتمسّكون بها، ويتذوقون حلاوتها.

٦) الاهتمام بالمكتبات المدرسية:

يجب أن تعود المكتبة المدرسية لسابق عهدها، لتمارس دورها الحقيقى فى التثقيف والتنوير..... تكلّمنا عنها كثيرًا، وحددنا مشاكلها الخطيرة..... أموالها المنهوبة..... عجز فى أمناء المكتبات المتخصصين... تحويل المكتبة إلى فصل دراسى ومنهج ودرجات..... ملء الأرفف بكتب لا تناسب مستوى التلاميذ ولا تُشجع على القراءة.

٧) توفير مُعَلّمى الأنشطة:

هذا أمر عاجل لا يحتمل التأخير، مع توفير الإمكانات المُتاحة، والأماكن النموذجية المناسبة..... وجود النشاط فى المدرسة يُمثل عامل جذب للتلاميذ، ويُحَبّبهم فى المدرسة، ويتيح الفرصة لانطلاق المواهب والطاقات الخلاّقة للتلاميذ، وتحمل لهم أحلام وردية للمُسْتقبل السعيد الذى ينتظرهم.

٨) إلغاء قرار إعفاء اليتامى من دفع المصروفات:

هذا قرار ظاهره الرحمة، وباطنه العذاب!... قرار سياسى لكسب الشُهرة والمنظرة، والتدليل على الرحمة والحنان، وصاحب القرار أبعد ما يكون عن هذا!..... ألا يوجد يتامى عندهم من الأموال ما يصرف على وزارة التربية نفسها؟..... ألا يوجد

يمكن أيضًا الاتفاق على حافز يُعطى للتلاميذ الذين لا يتغيّبون... أو أن غيابهم لم يتعدّى ٢٪ طوال العام وذلك..... مثلاً.... بإضافة من ٣ إلى ٥ درجات إلى المجموع للتلميذ.

٤) استخدام المدرسة كمركز للتقوية:

تَحل المدرسة محل البيت، ومَحَل المراكز الغير مُرَخّصة وتعمل فى الظلام فى ظل موجة الفساد، وكذلك لتَحل مَحَل مجموعات التقوية السيّئة السُمعة والتى يصل عدد التلاميذ فيها عشرة أضعاف ما حدده القرار الوزارى.

تعمل هذه المراكز المدرسية فى غير أوقات اليوم الدراسى، وفى أيام الإجازات، وتخضع للإشراف المدرسى والإدارة التعليمية، وأن يُدرّس بها أكفأ المدرسين، والذين يُقبل عليهم التلاميذ، ويتمتعون بالسُمعة الطيبة، وأن يكون للمُعَلّم دخل مُجزى لا يقل عن ٨٠٪ من الحصيلة، وأن يُحدد المُعَلم قيمة الاشتراك بنفسه.

هى خطوة للحَد من الدروس الخصوصية، والقضاء على ظاهرة النصب العلنى الذى يتم فى المراكز المزعومة، والتى يعمل بها مدرسون غير مُتخصصين منهم المحاسبون والأطباء والمهندسون وموظفون من كل مهنة، ويُسمون أنفسهم ملوك وعظماء وفلتات وأسماء حيوانات مُفترسة.... تجد لافتات على الحوائط تحمل اسم الأستاذ فلان... ملك الكيمياء أو إمبراطور اللغة العربية، أو ديناصور اللغة الانجليزية وهكذا..... إعلانات تنافس إعلانات الصابون والمشروبات الغازية والبيتزا، وتصحب هؤلاء الأفاضل دعايات كاذبة لإيهام أولياء الأمور.... الذين يتعلّقون بقَشّة فى ظل التعليم الفاسد.... بأن هؤلاء الناس فى أيديهم الفلاح والنجاح والمجاميع المرتفعة، وفى ظل الهوجة والخيبة يتم بيع مُذكرات ومُلَخّصات ذات ألوان مبهجة.... حمراء وخضراء وصفراء... منقولة بالحرف الواحد من كتب الوزارة المنهوبة أو من الكتب الخارجية، ومن امتحانات السنوات السابقة، وبها مُلَخّصات وأسئلة وإجابات مما يسلب الوزارة جهودها فى القيام بتعليم نافع وحقيقى يفيد الوطن، وليس تعليم يهدف إلى حل الامتحانات.

أيضًا وجود المراكز المدرسية تشيع الاطمئنان فى قلوب أولياء الأمور لأن التلاميذ يتحركون تحت مظلّة الإشراف المدرسى المُنَظم، ويُجَنّبهم الذهاب إلى المنازل والشقق، وهى بالطبع أماكن مجهولة لولى الأمر مما يسبب الكثير من المشاكل التى لا تخفى.... خاصّة للبنات!

لقد طبّقت هذه الفكرة بنفسى وحَقّقت نجاحًا باهرًا فى مدرسة السادس من

أكتوبر (تُسَمّى الآن... أم المؤمنين عائشة) وبتشجيع من مدير عام الإدارة فى هذا الوقت، الأستاذ محمد حجاب..... كان رجل ذو فكر ثاقب..... وجرىء، وفاهم لرسالته، ويتفانى فى عمله، ويقف وراء كل فكرة تُحقق الفائدة المرجوة، ودائمًا عنده الجديد.

٥) مادة الدين:

تحتاج هذه المادة إلى الإنقاذ السريع.... كفى إهمالاً لها وتقليلاً من شأنها..... يجب أن يكون لها معلمون متخصصون لهم امتيازات خاصة، وأن تدخل الدرجات ضمن المجموع الفعلى.

تعليم الدين الصحيح على أيدى المعلم الفاهم المثقف له فعل السحر على الأخلاق والسلوك، وتشيع فى المجتمع أخلاقيات التسامح والإخاء والمحبة بين عنصرى الأمة..... فضلاً عن تأصيل قواعد الحق والعدالة، وتأكيد قيمة الدين فى نفوس التلاميذ تجعل لأخلاقيات الصدق والأمانة وحب الوطن مثل عُليا يتمسّكون بها، ويتذوقون حلاوتها.

٦) الاهتمام بالمكتبات المدرسية:

يجب أن تعود المكتبة المدرسية لسابق عهدها، لتمارس دورها الحقيقى فى التثقيف والتنوير..... تكلّمنا عنها كثيرًا، وحددنا مشاكلها الخطيرة..... أموالها المنهوبة..... عجز فى أمناء المكتبات المتخصصين... تحويل المكتبة إلى فصل دراسى ومنهج ودرجات..... ملء الأرفف بكتب لا تناسب مستوى التلاميذ ولا تُشجع على القراءة.

٧) توفير مُعَلّمى الأنشطة:

هذا أمر عاجل لا يحتمل التأخير، مع توفير الإمكانات المُتاحة، والأماكن النموذجية المناسبة..... وجود النشاط فى المدرسة يُمثل عامل جذب للتلاميذ، ويُحَببهم فى المدرسة، ويتيح الفرصة لانطلاق المواهب والطاقات الخلاّقة للتلاميذ، وتحمل لهم أحلام وردية للمُستقبل السعيد الذى ينتظرهم.

٨) إلغاء قرار إعفاء اليتامى من دفع المصروفات:

هذا قرار ظاهره الرحمة، وباطنه العذاب!..... قرار سياسى لكسب الشُهرة والمنظرة، والتدليل على الرحمة والحنان، وصاحب القرار أبعد ما يكون عن هذا!..... ألا يوجد يتامى عندهم من الأموال ما يصرف على وزارة التربية نفسها؟..... ألا يوجد

يتامى عندهم عمارات وأطيان ومصانع؟... ألا يوجد يتامى يحضرون إلى المدرسة فى سيارات خاصّة يقودها سائق خاص؟!

هذا القرار المشبوه يتسبب فى جرح مشاعر اليتامى، ويعرّضهم للإحراج، ويُذكرهم بمصيبتهم!

المفروض أن من يُعفى من دفع المصروفات هو التلميذ غير القادر سواء يتيم أو غير يتيم، بل وتمتد رعاية الدولة لهم إلى أكثر من هذا، وهذه أمور يقوم بها الاخصائى الاجتماعى الفاهم لعمله والمخلص له، وما أكثرهم فى مدارسنا.

٩) إلغاء قرار ٣٠٥ لسنة ٢٠٠٣ (التقويم الشامل):

ضرورة الإذعان لقرار المحكمة الدستورية العُليا بإلغاء القرار رقم ٣٠٥ لسنة ٢٠٠٣، وإيقاف العمل به فورًا، وعدم التحايل على القرار كما ناقشنا ذلك سابقًا... لما له من آثار سلبية خطيرة على العملية كلها، وعن طريق التطبيق الفعلى والممارسة اتضح أن ضرره أكثر من نفعه، أو على الأقل إرجاء تطبيقه حتى نستعد له بما يهيء له فرص النجاح، وقد أفضنا أثناء الحوار فى تناول سلبيات هذا القرار.

١٠) إيقاف مهزلة إعطاء شهادات الضمان والجودة:

زيارة مفاجئة لأى مدرسة حصلت على شهادة الضمان والجودة سوف تُعطيك الدليل على ما يجعلك تعمل على إيقاف هذه المهزلة التى لا تفيد العملية التعليمية على الإطلاق، وهى تمثل بالوعة مفتوحة للمال والجهد والوقت و.....

- مهلاً... مهلاً.... تعبت يدى من الكتابة.... إنك لم تترك شيئًا لم تتناوله إلا بالنقد والتجريح والتشكيك!
- اتفقنا منذ البداية على الصراحة..... تَحَمَّلْنى.... هذا هو اللقاء الأخير... سوف أقول كلمتى وأمضى، ولكن لا تنسى أن هناك أشياء كثيرة وهامة لم نتناولها بعد!
- هل ما زالت هناك أشياء تريد أن تذكرها؟
- نعم... أنا ذكرت الأمور التى لا تحتمل التأجيل، وتريد تدخّلك الفورى اليوم قبل الغد!
- معنى ذلك أن هناك أشياء تحتمل التأجيل.
- نعم... نعم... هى تحتاج إلى وضعها على مائدة الحوار والنقاش المُستفيض حتى

نتجنب القرارات العشوائية.... المرحلة القادمة لا تحتمل مثل هذه القرارات، يجب قبل إجراء العملية عمل التحليلات والفحوص، وأخذ الآراء حتى تنجح العملية، ونتخلص بذلك من الأمراض المُزمنة التى تفتك بجسم التعليم!

- أمراض مُزْمنة... يا لطيف!.. ماذا تقصد بالأمراض المزمنة؟... أعطنى مثالاً.

- أكبر مثال.... القيادة والنظام الإدارى فى المدرسة، بسبب عدم إعداد قيادات حقيقية تضيع كل الجهود الصادقة وأى محاولة للتغيير أو التحديث.... غياب القيادات الصحيحة الواعية والمُدرّبة سبب رئيسى لتدهور العملية التعليمية والتربوية والأخلاقية.

- لو كنت مكانى..... ماذا تفعل إزاء هذه المُشكلة؟

- القيادات الحقيقية جواهر غالية تحرص كل دول العالم المتقدمة على اقتنائها، وتبحث عنها، وتلتقطها.... تدربها وتصقلها وتقدمها لتتبوأ مكانها الصحيح فى خدمة الوطن..... القيادات الصحيحة هى خير استثمار للمجتمع الواعى.... تحدّثنا عن هذا الموضوع كثيرًا، وخرجنا منه بأن أول خطوات الإصلاح هى تقديم قيادات تقود عملية الإصلاح.

لو أنا الوزير لأوليت هذا الأمر غاية جهدى..... إعلان فى كل وسائل الإعلام لطلب مديرين ونظار لهم مزايا مادّية كبيرة تبعًا لنوعية المدرسة، وعدد الفصول، وأن يخضع المتقدمون للوظيفة من (الجيش أو الشرطة أو القضاء..... الناس التى تَرَبّت على النظام والضبط والربط والطاعة والالتزام....) لاختيارات جادة ودقيقة يضعها المُختصّون، وتكون للوظيفة معايير مُحَددة وواضحة أهمها السيرة الذاتية وقوة الشخصية والتمتع بالصحة وبالهيئة والهيبة، ثم يخضع المختارون لتدريب جاد وقوى للتثقيف التربوى والإلمام بالقوانين واللوائح الوزارية، وأن تكون لهم سلطات واضحة للعقاب والثواب، وأن يكون العقد لمدة سنة واحدة..... يخضع خلالها المدير للتقييم من كل من الإدارة التعليمية، ومجلس أمناء المدرسة، ثم يُجدد له العقد أو لا يُجَدّد حسب ما يُحَقّقه من إنجازات ملموسة من كل الجوانب.

فى نفس الوقت توضع آلية واضحة يشترك فى وضعها الخُبراء لتجهيز قيادات من رجال التربية والتعليم، مع البحث المُستمر عنهم وصقلهم وتدريبهم، وسوف تكون الحوافز المادية المُجْزية والحوافز الاجتماعية الطريق لجذب العديد من القيادات التى تتوارى خلف المكاتب.

ذلك يتطلّب إعادة النظر فى أسلوب الترقيات العقيم لاختيار القيادات فى المدارس والإدارات، وألا يرتبط الاختيار بالسن والدرجة الوظيفية وأن يخضع القائد (مدير مدرسة..... مدير مديرية.....) للتقييم الموضوعى المُحايد والمُستمر، وأن توضع للقادة برامج جادة للإعداد السليم، لأنه قد ثبت يقينًا أن نجاح المؤسسة التعليمية أو فشلها.... أو حتى فى أى مرفق آخر مُرْتبط بقائدها.

يجب الأخذ فى الاعتبار إعطاء حوافز مادية مجزية لمن يتولّى قيادة المدرسة، حتى تكون هذه الحوافز عامل جذب وتشجيع للكفاءات المُختبئة فى الإدارات والوزارة خلف المكاتب بلا عمل حقيقى.

كان الدكتور أحمد جمال الدين اقترح صَرف حافز مادى كبير لمديرى المدارس الثانوية على النحو التالى ٢٠٠٠ جنيه لمدير المدرسة التى يصل عدد فصولها إلى ٤٠ فصل فما فوق، و١٢٠٠ لمدير المدرسة التى يصل عدد فصولها إلى ٢٤ فصل فما فوق، و٨٠٠ جنيه لمدير المدرسة التى يقل عدد فصولها عن ٢٤ فصل، وأنا أرى مضاعفة هذه المبالغ فى الوقت الحالى.

يا سيدى..... المدارس.... خاصّة الثانوية تحتاج إلى قيادات حقيقية فى أسرع وقت..... الحال وصل إلى أدنى مُسْتوى، وزيارة إلى مدرسة ثانوية.... أرجو أن تكون سرية..... سوف تكشف المستور.... عُذرًا.... لا شىء مستور.... الناس فى الشوارع تُشاهد التلاميذ يهربون من فوق أسوار المدرسة بعد بداية اليوم الدراسى بقليل..... التلاميذ فى الشوارع فى مناظر مُفزعة ومُخزية.... البانجو والمخدرات تباع فى المدارس، ومن أيام قليلة قرأنا أن مدرسًا فى إحدى المدارس شَمّ رائحة غريبة فى الفصل اكتشف بعدها أن تلميذًا يُدَخّن البانجو فى الفصل!!.... مصائب كثيرة نتخيّلها أو لا نتخيّلها، والتى تحتاج فورًا إلى قيادات قوية وحقيقية لإنقاذ المدارس من الانهيار!

عُذرًا سيدى الوزير.... أرى علامات الضيق على وجهك، ولكن هذا هو الواقع.... بل هو جزء يسير من الواقع..... لن أتطرّق إلى مدارس البنات.... المصيبة أعظم فى مدارس البنات.... مشاكل التَّسَيّب فى هذه المدارس لا تخفى على أحد..... مصائب وكوارث، ومهازل أخلاقية يأبى اللسان أن يذكرها!

- لا داعى..... أكيد أعرفها..... هل هناك أشياء أخرى؟

- ليس كثيرًا.... ولكن ما أُريد أن أُشير إليه لن يكون له ثمرة إلا فى ظل وجود

مدرسة مُنَظّمة لها قيادة واعية، وجو صحى هادئ.

- مثل ماذا؟

- وضع مناهج مختلفة للمادة الواحدة (ما عدا اللغات والدين) حسب البيئة الموجود بها المدرسة، وذلك وكما اتفقنا سابقًا لإمكانية ربط المدرسة بالبيئة المُحيطة والتعرف على مشاكلها، والمساهمة فى حلّها، حتى يتبلور لدى التلميذ صورة حقيقية عن دور المدرسة وأهمية التعليم فى النهوض بالبيئة المحيطة.

كذلك ربط المدارس بمراكز البحث العلمى والجامعات.

أيضًا العمل على تدعيم وسائل التعليم الذاتى، والتخلّص من تعليم التلقين والحفظ، وذلك بتحديد رءوس الموضوعات لكل مادة، ونترك للمدرس المثقف والواعى والمُدرّب الحرية فى التعامل مع تلاميذه لاستيعاب الموضوع المطروح، والإلمام به عن طريق:

١) عمل أبحاث من كتب موجودة بالفعل فى المكتبة، والمتواجدة بأعداد كافية، وأن يكون مدرس المادة هو الذى طلب توافرها بالاسم من أمين المكتبة (ولا ننسى دور الموجهين والموجهين الأوائل والموجهين العامّين ليكون لهم دور للإرشاد والمساهمة فى تحديد نوعية الكتب والمراجع المطلوبة.

٢) أيضًا تكليف التلميذ بالبحث عن الموضوع المطروح على شبكة الإنترنت، أو عن طريق تبادل المعلومات مع تلاميذ المدارس الأخرى أو تلاميذ من الدول الأخرى..... مثل مشروع E. Twinning الذى أشرت إليه فى الحوار.

٣) يُخَصص وقت كاف لتبادل المعلومات بين التلاميذ تحت إشراف المُعَلّم، وقيام كل تلميذ لتسجيلها بالطريقة التى تحلو له، وطبعًا سوف تتضاعف الفائدة لغزارة المعلومات، وتنافس التلاميذ فى الإلمام بها.

٤) لا بأس من قيام المعلم بطرح بعض الأسئلة الخاصة بموضوع ما، لتشجيع التلاميذ على البحث والاطلاع، مما يجعلهم يتذوقون لذة البحث والحصول على معلومات قيمة بأنفسهم، لتكون لهم منهجًا فى الحياة.

٥) كل ذلك يخلق جو التنافس العلمى المفيد والبنّاء، ويظل هذا المنهج مُصاحبًا للتلميذ طوال حياته مما يُشعره بأهمية العلم.

التعليم الذاتى... هو الأمل فى حدوث نهضة تعليمية حقيقية، ولكن لا بد أن يسبقها

إعداد كاف للمعلم، ليستطيع التعامل بكفاءة مع هذه الطريقة فى التعليم، والعمل باستمرار على تدريبه وصقله لاستخدام آليات العصر الحديثة..... ولكن.....!

- ولكن ماذا؟

- سؤال لا بد من طرحه..... هل يُمكن أن يتحقق أو بعضه فى ظل الكثافة العالية فى المدارس..... توجد فصول دراسية بها أكثر من ثمانين تلميذًا وأحيانًا مائة!

- هذه مشكلة كبيرة.

- إنشاء الله سوف يكون لها حل على يديك..... أعرف أن المسئولية شاقّة ومضنية، ولكنها مع رجل مثلك عنده الرغبة الحقيقية فى إصلاح التعليم لن تكون عسيرة.... توكّل على الله، ومن يتوكّل على الله فهو حَسْبُه.

الوزير هامسًا..... وهو يرنو إلى بعيد

- ونعم بالله.

رجع الوزير بظهره إلى الوراء.... تنهد تنهدة طويلة.... نظرت عيناه إلى بعيد.... لمحت فيهما لمعة الإصرار والأمل..... على وجهه آيات السعادة.... تخيّلته لحظتها يهتف فى سرّه "حان وقت العمل والكفاح واجتياز الطريق الطويل.... لن يهدأ بالى حتى ينصلح حال التعليم..... سوف أُثبت للجميع أنه لا مُحال ولا صعاب.... سوف أنقل حماسى إلى زملائى فى الوزارة وإلى كل المعلّمين.... سلاحى وزادى.... على كل بُقعة على أرض مصر"

خبطات خفيفة على باب المكتب.....

التقت نظراتنا على الباب الذى انفتح بهدوء شديد

دخل مدير مكتب الوزير..... لم يكن فى يديه ملفات كالمعتاد.... عيناه مُلْتصقة بأديم الأرض.... خطواته بطيئة مترددة.... تقدم ناحية الوزير يُقَدّم رجلاً ويؤخر أخرى.... كان باديًا عليه الارتباك والتردد..... أثار منظره الوزير.... سأله فى لهفة:

- مالك؟

- لم يرد الرجل على الفور... كأنه نسى لسانه فى الخارج.... كان يبدو عليه الخوف أو الإحراج..... قلّبت نظرى بين الوزير ومدير مكتبه... هذا على وجهه دهشة وسؤال مكتوم، وذلك على وجهه الحيرة وشفتاه مُطْبقتان.

استَعْجَله الوزير بلهجة حادة أقرب إلى الصراخ..... ارتعشت مفاصل الرجل، وكاد يسقط على الأرض.... وخرجت كلمات ضعيفة ترتعش على شفتيه:

- آسف يا باشا..... فيه تغيير وزارى!

ردد الوزير فى لهفة ودهشة وخوف:

"تغيير وزارى.... فى هذا الوقت... ليس ذلك أوانه، ولم يكن عليه دليل.... كل شىء حتى الصباح كان تمام..... كيف عرفت ذلك؟

- الآن فى الإذاعة..... من خمس دقائق.

- معنى كلامك أن هناك وزير جديد؟

- للأسف يا سيادة الوزير.

- من هو الوزير الجديد؟

- الدكتور درويش إبراهيم.... الأستاذ فى كلية الزراعة.

- الزراعة.... هل هذا كلام؟!.... ما دخل الزراعة بالتربية والتعليم؟

تذكّر الوزير شيئًا عندما نظر ناحيتى، ولمح نظرة السخرية فى عينى فلم يُطالب بإجابة السؤال..... سؤال قديم وسخيف يتردد من أزمان!

رددت فى نفسى فى غيظ مكتوم "هذه الوزارة المنكوبة..... من يُنقذها من الأوصياء الذين يقولون بأفعالهم.... كلّه عند العرب صابون!!

لملم الوزير أوراقه.... استغربت دهشته البادية على وجهه.... كنت أريد أن أسأله "لماذا هذه الدهشة.... الوزير الذى سبقك عرف بأمر إقالته وهو فى زيارة لمدرسة فى مدينة السادس من أكتوبر، وتركه الأوصياء حتى أخذ " حُقنة التطعيم من إنفلونزا الخنازير " ولم يتركوه حتى يلملم أشياءه ويبلغوه بالقرار فى منزله أو مكتبه ويقولون له شكرًا....

غادر الوزير مكتبه بدون كلمة واحدة، كان عليه علامات الدهشة أكثر من علامات الحُزن..... لو كُنت مكانه لا حزنت ولا اندهشت.... بل كُنت فرحان بنجاتى، وعودتى سالمًا إلى تلاميذى لأمارس عملى الذى أحبه، وأعطى علمى وخبراتى لأبنائى.... وأستزيد من العلم أيضًا قدر طاقتى.... ليزداد عطائى لوطنى.... ورددت فى

نفسى فى فخر وسعادة..... "ما أجمل كلمة الأستاذ والعالم، وما أهون كلمة الوزير!"

نظرت إلى الأرض وأنا فى طريقى إلى الخروج.... وجدت الملف ذو اللون الأحمر مُلْقى على الأرض، والأوراق مُبَعْثَرة.... تلفّت حولى ثم أسرعت بجمعها.... وضعتها فى حقيبتى.... سوف أقرأ ما سجّله الوزير.... أقصد الوزير السابق... وأزيد عليها..... ربما يجمعنى القدر يومًا بالوزير القادم من كلية الزراعة، فألتقى به وأحادثه... أو على الأقل أستدعيه فى خيالى، وأحاوره ثم أُرسل إليه كتابى!!!